الأنساق الثقافية في ديوان "من أوراق موريسكي" قصائد مختارة

م.م سارة كريم حسين

الجامعة المستنصرية/كلية الاداب / قسم اللغة العربية

samatham@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص

يهتم النقد الثقافي بالكشف عن الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة التي تتضمنها النصوص الأدبية الثقافية بكل تمظهراتها، ويبحث النقد الثقافي في اعماق النصوص المعقدة والبسيطة النصوص كما وردت في سياقها الثقافي، من أجل الوصول الى انساقها الخفيّة، والمضمرة التي تختبئ وراء النصوص.

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافية، الذات المتمردة، الاغتراب، الأنا الحالمة، قصائد موريسكية.

Abstract

Cultural criticism is concerned with revealing the apparent and implicit cultural systems contained in cultural literary texts in all their manifestations, and cultural criticism searches in the depths of complex and simple texts as they appear in their cultural context, in order to reach their hidden and implicit systems that hide behind the texts.

Keywords: Cultural systems, rebellious self, alienation, dreamy ego , Moorish poems.

تعريف النّسق لغةً:

لابدّ من معرفة لفظة النّسق، وقد وردت عند الخليل ابن احمد الفراهيدي ت (١٧٥ هـ)، "النسق من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، ونسقته تنسيقا، ونقول إن سقطت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت" (الفراهيدي، ٢٠٠٣ م- ١٤٢٤هـ، صفحة ٢١٨)

وجاء تعريف النّسق عند ابن فارس ت (٣٩٥هـ) في معجم مقاييس اللغة "النّسق: النون والسين والقاف أصل صحيح يدلُّ على تتابع في الشّيء ، وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض" (فارس، د-ط، صفحة ٤٢٠)

ويبدو إنَّ المعجميّين متفقون على أن النسق هو النظام أو الطريق الذي تتسق فيه الأشياء.

تعريف النّسق اصطلاحاً:

مصطلح النسق من المصطلحات التي تتخذ مكانة في المعجمات الحديثة والدراسات النقدية، واهتمت به على أنه مجموعة من العلامات الثقافية اللسانية وقد سعى بعض الباحثين وفي مقدِّمتهم (كليفورد غيرتس)، الّذي رأى في استعمال مصطلح النسق الثقافي، أنّه توجيه " النظر إلى الأنظمة الاجتماعية الحاكمة للأفراد والجماعات بوصفها إنساقاً ثقافية، فعُدَّ الدِّين والأيديولوجيا نسقاً ثقافياً، ويتجاوز النّسق الثقافي عنده البناء الاجتماعي الذي يصف الثقافة: بأنها مجموعة من الأنظمة المحسوسة والأدوار والمكانات وأنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية والعادات والتقاليد الملموسة" (كاظم، ٢٠٠٤م، صفحة ٩٥)

إذ يعتقد كليفورد أنّ الشخص خاضع للأنظمة الاجتماعية ؛ لذلك أُطْلِقَ عليها أنساقاً ثقافية، مثل نسق السِّياسة ونسق الدِّين وغيرها من الأنساق الثقافية...

وقد عرّف الدّكتور عبد الله الغذامي النّسق، بأنّه: "هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب مؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللغة من كُتّاب وقُرّاء يتساوى في ذلك الصّغير مع الكبير والنّساء مع الرّجال والمهمش مع المسوّد" (الغذامي، ٢٠٠٥م، صفحة ٧٩)

وهذا يعني أنّ النّسق الثّقافي هو العامل الرّئيس في توجيه حياتنا اليومية، وهذا يدل على ان النسق الثقافي يحوي على دلالتين دلالة ظاهرة ودلالة مضمرة ، إذ يكون احدهما مناقضاً للآخر". (الغذامي، ٢٠٠٥م، صفحة ٧٧)

أنواع الأنساق

يُعدُّ النّسق في مفهومه النقدي: هو النظام أي الطريق (الغذامي، ٢٠٠٥م، صفحة ٧٦) ، لذلك يعد بؤرة مركزية لقصائد الشاعر، اذ يتحكم في مجموعة من العناصر ويجعل من تركيبها بنية واحدة ترتبط مع بعضها البعض، فالنسق هو نظام يتناغم ويترابط وينسجم فيما بينه، لذلك تتولد من هذهِ الأنساق العامة أنساقٌ فرعية، وعلى سبيل المثال يوصف بأنه نسق اجتماعي تتولد منهُ أنساق فرعية منها، ونسق اقتصادي، ونسق سياسي، ونسق علمي، ونسق ثقافي، ويشتغل النقد الثقافي على بقية الانساق الثقافية المختلفة (مفتاح، د.ط، الصفحات ١٥٨ – ١٥٩) ، والتي منها:

١. النسق الظاهر (المعلن)
٢. النسق المضمر (الخفي)

النّسق الظّاهر:

إنَّ الباحث الذي يتناول دراسة النصوص الأدبية يجد نفسه أمام مادة بيضاء خام، ثم يقوم بتحليل هذه النصوص الأدبية على وفق مفهوم النقد الثقافي، ويتصف بكامل الحرية مع هذه النصوص، وهنا تتبيّن العلاقة بين "النسق الظاهر في النّصّ الأدبي عبر ظهوراته اللّغوية والجمالية" (عليمات، ٢٠١٥م، صفحة ٢٥) ، وما على القارئ من خلال قراءته لهذه النصوص إلّا استخراج ما هو ظاهر في النّصّ الأدبي.

النّسق المضمر:

يُعدُّ النّسق المضمر من أهمّ الموضوعات التي تمّ تناولها النّقد الثّقافي ويُعدُّ بؤرة اشتغال عبد الله الغذامي، ومن هنا يمكن تحديد ماهية النقد الثقافي "بوصفه مفهوماً مركزياً والمقصود هنا أنّ الثّقافة تملك أنساقها الخاصة المهيمنة، وتتوسل لهذه الهيئة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو قناع "الجمالية"، أي إنّ الخطاب البلاغي الجمالي يُخبئ من تحته شيئاً آخر غير الجمالية، وليست الجمالية إلّا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء، وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نَسَقِي مضمر" (اصطيف، ٢٠٠٤م، صفحة ٣٠)

وبهذا فإن النسق الثقافي المضمر (الخفي) يسير وراء التستر والتخفي، وبذلك يعلو النسق الظاهر النص، أمّا النسق المضمر فيكون الباطن الخفي.

ويمكن أن نحقق النسق الثقافي عند القارئ والمتلقّي على حدٍّ سواء، وهناك أنساق ثقافية خفية مضمرة تنتج من خلال العنصر النسقي الذي يقع بين المرسل والمرسل إليه، ويحدث النسق الثقافي الخفي المضمر نتيجة الحوادث الثقافية المتراكمة: فتوضّح اجتماعياً ودينياً واخلاقياً وثقافياً، وهي غير ثابتة، تتغير عبر العصور بحسب تغيير الأزمة والأمكنة، والاحداث، والثقافيات، وغيرها من الأمور. (كيليطو، ٢٠٠١م، صفحة ٨)

لذلك يعدُّ النسق المضمر نسقاً ثقافياً مركزياً يعمل في أثنائه انساقاً مختلفة، وتتمركز مهمة النقد الثقافي في الكشف عن الأنساق المضمرة، اذ يبحث عن القضايا الخفية التي تختبئ بين السطور في هذه النصوص، ويعدُّ الشّاعر حميد سعيد من الشّعراء الذين تضمنت خطاباتهم الانساق المضمرة، حيث يؤسِّس الشاعر الموريسكي لمرحلة شعرية جديدة (من أوراق الموريسكي) ، ولعل أبرز ما يميز هذه المجموعة الشعرية تخلق فرادتها اللغوية، والإبداعية ، إذ انطوى ديوان (من أوراق الموريسكي) على عشر قصائد أربع قصائد منها تعالج القضية الموريسكية (سِعيد، ٢٠١٤م، صفحة ١١) .

" تقع في ١٤٤ صفحة من القطع الصغير وتتوزَّعَ على عشر قصائد، من بينها قصائد تتحدث عن الموريسكيين ، هي: "الموريسكي" ، و "من أوراق الموريسكي" و"زمن آخر للموريسكي"، و " أحوال الموريسكي"، وتعدُّ هذه المجموعة الشعرية الثالثة للشاعر التي تصدر في عمّان، "من أوراق الموريسكي"، هي أيضاً رحلة في المدن المغربية ورموزها وحكاياتها وأزهارها سعياً للوصول إلى الحلم" (سعيد، ٢٠١٣، صفحة ٨)

نسق الأنا (الذات) المتمردة:

إنّ نزعة التمرد نزعة إنسانية طالما أثّرت في نفس الشاعر الذي لا يقبل الاستسلام، وفي كل عصر من العصور تشترط فيه الأعراف والقيود، وتعلو فيه الحواجز التي تعدُّ من الحريات فيلجأ الشاعر الى التمرد وتعارضهُ مع الواقع، ومعارضتهُ التي يصبّها على الأنظمة السائدة وضد الأوضاع.

"إنّ تجربة الشعراء الذين تمردوا ونفروا بمنجزهم الشعري إلى البحث عن عوالم مغايرة، أكثر استجابة لتحولات النموذج الشعري وتحولات التاريخ ذاتهُ، خاصّة بعد ان تكتشف وقائع الأدلة الشمولية المفروضة على الثقافة العراقية، والتي تفرض الحاجة إلى قراءة عميقة وموضوعية، وتسلط الضوء على أبرز ملامحها الفنية والتجريبية" (الفواز، صفحة ٦٠) ، يكون التمرد على الواقع الذي يعيش فيه الإنسان اذ يبحث عن هوية ذاته.

انشغل الشاعر حميد سعيد في وطنه منذ بداياته الأولى، وهذا الانشغال ادى الى تجربة الذات مع العالم الآخر، وما يشغلهُ من تجارب إنسانية، تواجه الطغيان، والظلم ، والعدوان، وأدّى هذا الحث إلى اشغال حضوره الثقافي والفكري، وتجربة الحياة برؤية تقدمية تستحضر التاريخ والإبداع الإِنساني (الجبوري، ٢٠٢٢م، صفحة ١٥) ، اذ يبحث الشاعر المورسكي عن ذاتهِ الوجودية، وهذا البحث الذي يفتح له بوابة الفكر التأملي، والفلسفي وهذا ما نستدل عليه في قصيدتهِ.

حيثُ لا اسم لي

كنتُ أبحثُ عَنّى

وعمّن أكادُ أضيفُها ... بعد أنّ ضيعتني

وعن أثر ... لاحَ لي أو توهمتهُ ...

وعثرتُ بما كنتُ أحسبهُ ظلّها ...

فجفتني

حيث لا اسم لي

سأقيمُ بلاداً كما في الأساطيرِ

أُخرجُها من فضاءاتِ ما كانَ

أُطلِقُها

فتكون بيني وبَيني. (سِعيد، ٢٠١٤م، صفحة ١٠٣)

نرى في هذا النص ظهور نسق الذات يبحث الشاعر الموريسكي عن ذاتهِ، وكل مفردة في القصيدة تعبّر عمّا في داخل الشاعر أذ يظهر نسق الآلم والغياب والبحث عن هويتهِ اذ يظهر في القصيدة النسق الظاهر وهو البحث عنه الذات، أما النسق المضمر فهو نسق الغياب، أذ تدل القصيدة عن بث شكوى واضحة لأحوالهُ ووجودهُ المأزوم، وتفضي هذه الاحوال معبراً عن غربتهُ ، يبحث الشاعر الموريسكي عن ذاتهِ المغتربه.

لقد إنمازت لغة الشاعر الموريسكي حميد سعيد "بقدرتها" على مواءمة التشكيل الصوري والانثيال المتدفق بعذوبة وشراسة، لغته لها خصوصية في البهاء والقدرة على الإبهار، مضافا اليها القدرة على إدامة التوقد الشعري داخل القصيدة، مما جعلته يتفرد في شعريته وفي بقاء نصوصه متوقدة لا تنطفئ حتى مع مرور الوقت، انها خصوصية هذا الشاعر وسر ديمومة نصوصه وتواصلها الزماني" (شلال، ٢٠١٢م، صفحة ١٠٤) ، فعندما نبحث في قصيدة الموريسكي نبحث عن الابداع الدلالي للألفاظ، إذ تحتوي قصيدته على معانٍ دالة على نسق الأغتراب الذاتي، وتشظي آلامها التي تعبر عن تجربتهِ النفسية والسياسية والاجتماعية والثقافية كما يقول:

حيث لا إسم لي ...

رحلَ النحلُ

واعتزَل النخلُ

واستوطنتْ في البلادِ الضباعْ

كُلُّ شيء يباعْ

.....

كُلُّ شيء يباعْ

أقراطُ شبعاد ... حُقُ الذرور ... مرآتها ...

وغلالاتُها وعَباءاتُها ...

عُرضَتْ حيثُ تفتحُ أسواقَها .. قَينُقاعْ (سِعيد، ٢٠١٤م، صفحة ١٠٥)

هنا يستعرض الشاعر حالة من السكون والضياع واليأس في سياق ثقافي أو جغرافي، حيث يبدأ بتعبير "حيث لا اسم لي " ، ما يعني فقدان الهوية، هذا يشر إلى نسقِ الغربة أو العزلة التي يعيشها الموريسكي ، ربما على مستوى الذات أو المجتمع ، وفي جملة " رحلَ النحلُ" إشارة إلى تدهور الأوضاع أو توقف الحياة عن الحركة والنماء ، ثم عاد الشاعر ورمز إلى "النخل " وهو رمز العطاء والصبر والحياة اعتزاله يعكس انقطاع أو تراجع في

القيمِ الأساسية التي كانت تمنح الاستمرارية والقوة ، ربما يكون ذلك تلميحاً إلى الجفاف الروحي الذي كان يمر به الشاعر الموريسكي .

إنَّ الشاعر يعكس واقعهُ ، ويتألم على ذاتهِ من الداخل ويبكي حضارة بلاده الآفلة من الأعماقِ اذ يقول " كل شيء يباعُ" هذه الجملة تبرز صورة عالم مادي وفاسد ، اذ يتم بيع كل شيء بما في ذلك القيم والمبادئ ، يدل هذا على استنزافِ الروح الإنسانية وتحول العالم إلى نسق مادي . هذه القصيدة تدل عن حالة من الانحدارِ الروحي والمادي في عالمٍ يغيب عنه (النحلُ والنخلُ) هذا يدل على (نسقِ الحياة والخصوبة) . بينما تحكمه الضباع (نسق الفساد والعدوان) ويهيمن عليه الطابع المادي والتجاري .

نسق الأغتراب:

"لقد عانى الإنسان العربي بعامة والمثقّف بخاصّة، من اغترابات شتى، واتسمت ردود فعله، بأشكال شتى تراوحت بين الانسحاب من الواقع إلى هامش الحياة، أو الرضوخ للنظام القائم والاندماج في مؤسساتهِ، وهناك سببان جوهريان وراء اغتراب المثقف: الأول يتصل بالحرية وما يتعلق بها من مداخلات السياسية والاجتماعية وتردي الأوضاع بصورة عامةً، وآلاخر يتعلق بصدمة المثقف بسبب تَعثّر المشروع الحضاري النهضوي القومي. (جعفر، ١٩٩٩م ، صفحة ٢٠) ، نفهم من خلال ذلك أن هناك أنواع للأغتراب، منها الاغتراب الاجتماعي والاغتراب السياسي والاغتراب الديني والاغتراب النفسي وغيرها.

الشعور بالعجز يؤدي إلى الاغتراب عندما يشعر الانسان بتجرده، وأنهُ لا يستطيع ان يغير الواقع،يعجزُ عن السيطرة على أفعاله وتصرفاته ورغباته، وأنهُ عاجز عن كل شيء، يفقد السيطرة على إرادته اذ تحدها عوامل خارجية، ويؤدي ذلك إلى العجز عن تحقيق ذاته ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع ، لذلك "فإن الشعور القاسي بالإخفاق يضرب على وتر حسّاس تجري إيقاعاته في مجرى يصبّ في دائرة تصبح بصوت ذات مضخمة بمعنى آخر إن اكتشاف (الأنا) – نتيجة الاصطدام ، ومحاولة رفعها إلى حدّ القداسة، يعني مواجهة العالم، ومكوناته السائدة التي تصدم بها، ونقطة الافتراق بين الذات، والواقع الموضوعي تكمن في تلك الحساسية المفرطة التي يتمتع بها الشاعر" (جعفر، ١٩٩٩م ، صفحة ١٣٢) ، وذلك الشعور تولد لدى الشاعر الموريسكي بعد ان فقد إرادته وفقد السيطرة على ذاته، لأنهُ عجز عن تغيير الواقع الاجتماعي والسياسي، وأن الامور من دونه بحسب احساسه أي قبل الآخر، وهو المسيطر عليها.

إن شعور الموريسكي بأنه عاجز عن تغيير الواقع السياسي، ولا يمتلك اي دور في تغيير العملية السياسية، وأن السلطات المعنية لا تشرك الفرد في العملية السياسية، كل هذه الامور تؤدي الى الاغتراب.

عاش الشاعر حميد سعيد غربة حقيقية في قصيدتهِ عندما نبحث في قصائد الشاعر الموريسكي نلحظ ألفاظ الغربة واضحة من خلال كتاباته، وكل هذه الألفاظ المعبرة عن الغربة التي وقع فيها الموريسكي نتيجة الظروف القاسية التي مر بها، تكونت لديه جملة من الانكسارات والهزائم اذ يقول في قصيدة (الموريسكي) عن الغربة والوحدة والضياع.

مطارداً في اللغة الأولى وفي القصيدة الأولى

وفي الحدائق البيض وفي الآل وفي فردوس عبد الله

في مملكة الماء وفى اليباب

مطارداً في ما رأى .. وما أحب

مطروداً إلى ما لا يرى من حجرٍ أو شجرٍ

أدخله العلقم في ما لا يحب ...

فأقام في الخرابْ. (سِعيد، ٢٠١٤م، الصفحات ٥٥ – ٥٦)

يظهر في هذه القصيدة النسق الذاتي الظاهر أما النسق المضمر هو نسق الاغتراب "بلفظة (مطارداً) وهو نسق الشعري الذي بدأ الشاعر به القصيدة، وصيغة (الحال) اعتمدها منطلقاً أول لقصيدته هذه، ستُطلق هي من جانبها – بّعد ذاتها – أحوالاً غربية، إذ يستعثّر الكلام تالياً وتنضو الأحلام عنها "قمصانها البيض"، وتنام " في سرير ساحرٍ مُضنّث / يقطف منها حين يشتهيها الشوك ، والأدهى في هذه الأحوال التي ستنطلق أن تراث القصيدة الحاضر سيرينا "كل إرم .. تفضُّ طرفها عما ترى/ وتفتح الأبواب للمدجّنينْ" (محمود، ٢٠٢٠م، صفحة ١٥٢) ، أو تشتغل القصيدة حركة المطاردة الشعورية والنفسية إذ يقول :

ترتبكُ الطلاسمُ التي افتراها .. علّها تنفتحُ الليلةَ

هذا شجرٌ مُراوغٌ وخائفٌ

لم يَلتَفِتُ الماءُ إليها

لن يُعيدَ الزمنُ الضائع ما كانَ على أغصانها.

ولنْ يكونْ

لا وردُها الغامضُ من قبائلِ الوردِ

ولا أريجُها من الاريجٌ. (سِعيد، ٢٠١٤م، صفحة ٥٧)

إنّ الشّاعر رصد نسق الحِراك الشّعوري في القصيدة، فتمّ رصده من خلال اللغة ، وهذا يدلّ على انزلاق القصيدة من مسار الى آخر، ومن لغة الى لغة أخرى ومن أسلوب الى آخر، في بداية القصيدة تدلّ على الوصف السّردي ثُمّ انتقل الى باب النّسق الشّعوري المُشْبَعَة بنيران الوجع والاغتراب، لذلك لجأ الشّاعر الموريسكي الى الطّبيعة ليعبّر من خلالهاعن حالته الداخلية، ليصور لنا قصة ذاتهِ المنكسرة والمغتربة على حضرة الأسى والحزن والبأس والمرارة والوجع، واعتمد على ذلك من خلال الصّورة المشتقّة من الطّبيعة، ومنه خلال تلك المطاردة كان ينظر الى جمالية الطّبيعة الخلّابة من (الأشجار والثّمار والورد) تبدو فراغات سوداء تُعبّر عمّا في داخليهِ من الشّعور باليأس وهذا يؤدي إلى نسق القلق الوجودي، وعلى هذا النّهج يواصل الشّاعر نهجه الاغترابي في القصيدة كما في قوله:

في ما تبقّى من قراءات ... على معارجٍ مضيئةٍ

تعثَّر الكلامْ

ونضت الأحلامْ

قمصانها البيضَ .. ونامت في سريرِ ساحرٍ مُخنّثٍ

يقطفُ منها حين يشتهيها .. الشوكَ

كلُّ إرمٍ .. تغضُّ طرفَها عمّا ترى ..

وتفتحُ الأبواب للمدجّنينْ

.....

.....

على حدود مدُنٍ مباحَة ... ل ... (سِعيد، ٢٠١٤م، صفحة ٥٧)

من خلال هذه الأبيات يلاحظ القارئ أنّ الشّاعر الموريسكي، لا يمتلك القوة على المواجهة وتغيير الواقع المأساوي وفقدان الأمل في العودة ، وظلّ وحيداً في غربتهِ كما في قوله :

مطارداً في صمتهِ ..

وسمتهِ ....

في مُدنٍ يلُجِها القاتل والخاتلُ .. والقوّادُ والقرّادُ ...

والراوغُ الصخّابُ ..

....

وكانَ مطروداً من الغيابْ

شاركهُ الماضي الذي صارَ بعيداً ..

مَوْتَهُ ..

فما فاز من الغنيمةِ السّوداء .. بالإيابْ (سِعيد، ٢٠١٤م، صفحة ٦٢)

يلاحظ الباحث وجود تناقض لدى الموريسكي، يعاني من الضّياع وحالة من القلق الوجودي، وتناقض بين الواقع والضّياع والاغتراب، ظهر من خلال هذه الأبيات نسق القلق ونسق صمتهُ ووحشتهُ ولا يدرك ما هو المصير ووحشته الاغترابية.

نسق الحلم والألم:

يرتبط الشّعر ارتباطاً وثيقاً بالحلم فهو يغذي روح الشّاعر ويستمد أفكارهُ منه ويمكنهُ من الإبداع، ويكون لديه الصّورة الشّعرية، وقد عرّفه ارسطو بـ "التّخييل" (نجاتي، ١٩٨٠م، صفحة ٢١١) ، وغالباً ما يصاحب هذهِ الاحلام

الإحساس بالألم (نجاتي، ١٩٨٠م، صفحة ٥٩) ، اذ لجأ الشّاعر الموريسكي الى كتابة الشّعر للوصول إلى ألمهِ اذ يُعبّر عن ألمهِ الدّاخلي من خلالهِ ، وكان طريق الألم عند الشّاعر الموريسكي هو الطّريق المعبّد الجاهز للوصول إلى الشّعر، وهو يُعبّر عن أحلامهِ الضّائعة فالألم يزداد ويتفاقم في حياة الشاعر، ويفتتح قصيدتهُ بالحلم والآلم ، عاش الشاعر مرحلة قلقة زمكانياً، حيث أثّر المكان على حياة الشاعر، وعلى كتاباته الشعرية، إذ استقرّ في عمّان، وبعدها غادر إلى المملكة المغربية، مشاركاً في الاعمال الادبية هناك. وظل حلم العودة إلى العراق وخاصّةً بغداد يراودهُ في ذلك واضحاً في قصائدهِ (محمود، ٢٠٢٠م، صفحة ١٤٠) ، حيث ان ديوانهُ من أوراق الموريسكي أصدره نتيجة احتمالين:

الأول . "أن يكون الشاعر أراد بـ (الموريسكي) استحضار ما في تاريخ نهايات الفردوس العربي الأندلسي من دلالات تتّصل بأولئك الأندلسيين العرب والمسلمين، الّذين لحِق بهم هذا الوصف / أو هذهِ التسمية لا فرق ، كونهم مثّلوا آخر فوج من الهاربين من آخر قلاع الأندلس، هرباً من عمليات القتل والبطش العنيفة التي ارتكبتها محاكم التفتيش ذائعة الصِّيت، ولا سيما بحث من رفض "التّنصُّر" بقوة السيف وبالإكراه ، وكان عليهم بالضّرورة عبور مضيق جبل طارق، واللجوء إلى المغرب الساحلية تحديداً ، وانتقال كثيرين منهم بعدئذ إلى مدن المغرب الأخرى الداخلية" (محمود، ٢٠٢٠م، صفحة ١٤١) ،

ثانياً- " أن يتمثّل الشاعر مداليل (الموريسكي) ويسبقها على ما آلت إليه أحواله بعد الاحتلال، فتصير دالاً أول على هذه الأحوال الاضطرارية التي استجدّت في حياته، وتركت بالضرورة _ ما تركت على تجاربه التي نتجت عنها شعرياً" (محمود، ٢٠٢٠م، صفحة ١٤١)

ومن هنا كان المنطلق لقصيدة (لزمن آخر... للموريسكي) ، وهذا الزمن الذي ظل الموريسكي يبحث عنة في المدن المطارد فيها كافة، يقول الشّاعر :

في هذه الفلواتِ ...

تنفتحُ المتاهاتُ ...

القِراءاتُ المضيئةُ .. أطفأتْ سُرُجَ الكلامْ

ومضتْ إلى الممحوِّ من صفحاتها..

لتُلمَّ ..

ما أتمنتهُ يوماً في مدونةِ المرايا ..

قبل .. أن يدنو من الممحّو من صفحاتها البيض ..

الظلامْ

ماذا سيقرأُ .. إن هذا الممحوَ ما أبقى ..

على رقمِ البلادْ

من شمس حكمتها .. (سِعيد، ٢٠١٤م، صفحة ٨٤)

يصور لنا الشاعر في قصائد (من أوراق الموريسكي) ظهور (نسق المدن الضائعة) اي (نسق الرثاء) في هذه الأبيات يكثف الشاعر ما مر به الوطن من حروب وقتل ودمار وتخريب أدى ذلك إلى الضياع والدمار،**اذ** أن هذا الدمار أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً، والشمس تشرق على البلاد، ومن ثم يعاود الشاعر إلى الكلام عن الواقع الذي سيؤول إليه بلده العراق من الخراب والدمار والتهميش في ظل الاحتلال الأمريكي ، إذ يقول:

رأى ..

ما لا يرى الرائي

القُمامَةُ تدَّعي نسباً إلى ذات العمادِ

رأى ..

ما لا يرى الرائي

أما نسبوا الحريرَ الموصليَّ .. وقد غدا أثراً ..

إلى شوك القتاد ؟!

رأى ..

ما لا يرى الرائي

الجرادْ

أقام مأدبُةً .. ليأكلَ بعضُهُ بعضاً

أيغدو ما رأى .. وطناً ؟

ستقتربُ الظنونُ من الظنونْ

ويعيدُ ما أهداهُ من قبلُ الجنونُ إلى الجنونْ (سِعيد، ٢٠١٤م، الصفحات ٨٥ – ٨٦)

ظهر في هذه الأبيات "الذات"**اذ** تبيّن القصيدة البحث عن ذات الشاعر وتراثه وتاريخه وزمنه الضائع ، **اذ** يبحث الشاعر عن النسق الوجودي وكل مفردة في قصيدة الشاعر تعبر عن معنى خاص بها، وتعبر عما هو في داخل الشاعر، ليظل الحلم والألم ملازمان له يعبران عن حرارة الاحلام التي يعتبرها الشاعر صعبة المراد، وترسم هذه الاحلام في عينه الصامتة التي لا تعبر ولا تنطق لكن في المقابل تعبر عن مرارة الألم التي يراها من قبل الآخر، وتبقى الذات تعبر عما يدور في داخل الشاعر، وهنا تبرز ثنائية نسق (الحلم والآلم) ، وهذه الثنائية تكون في داخل الشاعر الموريسكي ثم يواصل الشاعر في مفردات الحلم والألم اذ يقول:

في كلِّ منعطفٍ سيسأُلهُ القصيدةُ .. أن يُشاركَها صباها

يرتابُ منها ..

من ضراوتها وفطنتِها .. وإيقاعِ الغوايةِ في خُطاها

في كلِّ منعطف سيسأله مريدُ

عَمّا جرى ..

فيغيبُ في ما كانَ

يزجُرُ ما تداعى أو سيزجُرُهُ .. ويصمتُ

ثمّ .. يَدخّلْ ما رأى من حصوةٍ بيضاء ..

في محوٍ جديد (سِعيد، ٢٠١٤م، الصفحات ٨٦ – ٨٧)

هنا يعود الشاعر إلى النسق الوجودي ، اذ يبحث عن ذاته في هذا الزمن، وان الاحلام المؤجلة والألم لدى الشاعر الموريسكي اشعره بالخيبة والضياع، وكان الموريسكي في حالة نفور تام ورفض تام ، لما هو حولهُ وما تحملهُ نفسه من كرامه وعزة ترتفع عن الرضوخ الى الآخر، وأنّ هذه الاحلام لا تكون غريبة او احلام (فوق الواقع) ،وإنما هي أحلام من الواقع الاجتماعي الذي يعيشهُ الشاعر التي تعبر عن الانساق الثقافية الاجتماعية.

الخاتمة

ظهور تجليات النسق الذاتي الوجودي (نسق الأنا) في الثقافة العربية، فقد ظهر في أشكال متنوعة منها الأنا المتمردة لدى الشاعر حميد سعيد، وكذلك ظهر لديه نسق الاغتراب ظهر ذلك من خلال الصور الشعرية التي صورها الشاعر والفضاءات المشحونة والأنماط الشعرية التي من شأنها الكشف عن الخبايا التي تدور حول الشاعر الموريسكي لتحاول أن تفصح عن الفعل الثقافي لدى الشاعر، من خلال هذهِ الانساق لأثبات ذاته، ونسيت الحلم والألم عبر عنها من خلال تشكيلهِ لنصوص محملة بالبنى الشعرية المضمونية ، من أجل أن يكتسب النص الشعري بالتكثيف الايحائي الذي يبلغ بجدية (الرفض او القبول) والذي اتخذت من الفعل الثقافي والأنساق الثقافية منهجاً لها .

المصادر والمراجع

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. (٢٠٠٣ م– ١٤٢٤هـ). معجم *العين* (المجلد ط١). (تحقيق د – عبد الحميد هنداوي ، ج/٤، المحرر) بيروت –لبنان: دار الكتب العلمية.

أبي الحسن أحمد بن زكريا بن فارس. (د–ط). معجم *مقاييس اللغة*. (تحقيق– عبد السلام محمد هارون ، ج / ٥، المحرر) دار الفكر للطباعة والنشر.

حسين الجبوري. (٢٠٢٢م). *قراءة نقدية في ديوان " أولئك أصحابي للشاعر حميد سعيد قصيدة صمت البحر ثانية أنموذجاً* (المجلد ط١). تركيا – إسطنبول: دار الصوت للصحافة والنشر.

حميد سعيد. (الاثنين ١١ (٠٣: ٢ص) ٢, ٢٠١٣). يجد أندلسه الضائع في القصيدة. *البيان* .

حميد سِعيد. (٢٠١٤م). *من أوراق الموريسكي* (المجلدات ط-٢). المملكة الأردنية الهاشمية: منشورات دار دجلة.

د- عبد الكريم راضي جعفرٍ. (د-ط). *رماد الشعر (دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق)* . دار عدنان للطباعة والنشر.

د- عبد الله محمد الغذامي ؛ د- عبد النبي اصطيف. (٢٠٠٤م). *نقد ثقافي أم نقد أدبي* (المجلد ط١). دمشق: دار الفكر.

د- عبد الله محمد الغذامي. (٢٠٠٥م). *النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)* (المجلد ط٣). المركز الثقافي العربي.

د- محمد راضي جعفر. (١٩٩٩م). *الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (مرحلة الرواد)* . من منشورات اتحاد الكتاب العرب.

د- محمد عثمان نجاتي. (١٩٨٠م). *الإدراك الحسي عند ابن سينا* (المجلد ط٣). ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

د- محمد مفتاح. (د.ط). *التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)* . بيروت - لبنان / الدار البيضاء-المغرب: لناشر المركز الثقافي العربي .

د- نادر كاظم. (٢٠٠٤م). *تمثلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط* (المجلد ط١). دار فارس.

عبد الفتاح كيليطو. (٢٠٠١م). *المقامات (السرد والأنساق الثقافية)* (المجلد ط٢). (تحقيق - عبد الكبير الشرقاوي، المحرر) دار توبقال للطباعة والنشر.

عبد المطلب محمود. (٢٠٢٠م). *كمن لايعرف الشاعر بحثاً عن المرجعيات التراث وموجهاتها في شعر حميد سعيد* (المجلد ط١). مطابع الأديب البغدادية.

علي حسن الفواز. (بلا تاريخ). *الشعرية العراقية (ثمة من يفتح الصناديق السرية للعائلة)* . أفاق جديدة ١١، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

كريم شلال. (٢٠١٢م). *جنائن غريبة (دراسة ظاهرة الاغتراب في قصيدة عقيل علي)* (المجلد ط١). دار ومكتبة البصائر.

يوسف محمود عليمات. (٢٠١٥م). *النقد النسقيّ (تمثلات النسق في الشعر الجاهليّ)* (المجلد ط١). الأهليّة للنشر والتوزيع.